



سعادة الأستاذ الدكتور / حسن بن أحمد العمري ... المحوقر

رئيس المجلس الوطني لتنمية مهارات التفكير - المملكة العربية السعودية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الموضوع / تهنئة وإهداء

فإنه من دواعي سروري وبهجتي أن أتقدم لمقامكم الكريم بأسمى التهاني والتبريكات بمناسبة إنشاء المجلس الوطني لتنمية مهارات التفكير، وإطلاق خطته الإستراتيجية المباركة، ساللاً الله ﷻ أن يوفقكم ويسدد على طريق التطور والارتقاء خطاكم .. أمين.

كما يشرفني أن أهديكم آخر بحوثي المحكمة، الموسوم:

.. منهج الشراء والبيع بين الله ﷻ وعباده المؤمنين ..

دراسة تحليلية لبيعة العقبة الكبرى

وهو بحث رصين، منشور في مجلة آفاق الثقافة والتراث التي تصدر عن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي. (السنة ١٥ ، العدد ٥٩ ، أكتوبر ٢٠٠٧م). متمنياً نشره باسم المجلس الوطني لتنمية مهارات التفكير، كي تعم به الفائدة العلمية، بإذن الله تعالى.

وفقكم الله .. ودمتم بعز

د. راكان عبد العزيز الراوي

عضو المجلس الوطني لتنمية مهارات التفكير



منهج الشراء والبيع بين الله وَعَجَّلَ وعباده المؤمنين

”دراسة تحليلية لبيعة العقبة الكبرى”

بحث من إعداد

الدكتور / رakan عبد العزيز الراوي

دكتوراه فلسفة في العلوم الإدارية

المؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم – دبي

بحث منشور في مجلة أفق الثقافة والتراث

السنة (15) ، العدد (59) ، شوال 1428هـ - أكتوبر 2007م

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية

بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث – دبي

منهج الشراء والبيع بين الله ﷻ وعباده المؤمنين

”دراسة تحليلية لبيعة العقبة الكبرى“

إعداد الدكتور / رakan عبد العزيز الراوي

التعريف بالبحث:

تعد بيعة العقبة الكبرى تطوراً عظيماً في مسيرة الرسول الكريم ﷺ خلال مرحلة الدعوة المكيّة، إذ تمكن ﷺ من خلالها أن يحصل على أكبر دعم من خارج حدود مكة، الأمر الذي شكل انتصاراً كبيراً، وخطوة راسخة نحو نشر الدين الإسلامي في أرجاء الجزيرة العربية جمعاء.

بايعت النبي ﷺ مجموعة من أهل يثرب .. بايعوه على أن يضحوا بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله عز وجل، في مقابل الفوز بسلعة الله.

عبّرت البيعة في جوهرها عن عملية بيع وشراء .. فالمبايعين باعوا أنفسهم وأموالهم، ورب العزة اشتراها منهم، والتمن هو الجنة.

جاء هذا البحث ليناقد منهج الشراء والبيع بين الله عز وجل وعباده المؤمنين، من خلال التحليل العميق لبيعة العقبة الكبرى .. وذلك من خلال ثلاث مباحث تعامل الأول مع الوصف القرآني لمنهج الشراء والبيع المتجسد في الآية (111) من سورة التوبة، أما الثاني فقد ركز على تفصيلات بيعة العقبة الكبرى، في حين جاء المبحث الثالث ليناقد الدروس والعبر المستفادة من هذه البيعة المباركة.

**The Method of purchase and sale
between Allah-the Almighty and His Faithful Servants
An Analytical Study of the Great Aqabah Pledge**

Prepared by: Dr. Rakan Abdul Aziz Al-Rawi

Introduction:

The great Aqaba pledge is a very important landmark of the Prophet Muhammad's mission during the Makkan stage of the preaching. It provided a strong support to the call of Islam outside the borders of Makkah and paved the way for the rapid spread of religion in all corners of the Arabian peninsula.

A group of people from Yathrib (Madinah) took oath (pledge) that they would sacrifice their lives and wealth in the way of Allah against winning the commodity of Allah- the Paradise. The Great Aqabah Pledge has been regarded as a sale and purchase activity; the buyers sold their lives and wealth and Allah –the Almighty –purchased these things from them and the price was - Paradise.

The study aims to present the method of purchase and sale between Allah and His faithful servants through an in-depth analysis of the great Aqabah Pledge. It is divided into three main parts. The first part deals with the Quranic concept of the purchase and sale activity as reflected in the verse 111 of the Holy Book. The second part focuses on the details of the pledge while the third one highlights the lessons and examples learnt from this blessed pledge.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ
اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"^I

صدق الله العظيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ولن تجد له من دون الله ولياً مرشداً.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده، نصر عبده وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده.

والصلاة والسلام على رسول الله .. الرحمة المهداة والنعمة المسداة للبشرية جمعاء ليخرجها من الظلمات إلى النور، فجاهد في الله حق جهاده حتى نصره الله على أعدائه، وحقق له غايته.

ورضى الله عن آل بيته الطاهرين، وصحابته أجمعين، الذين حملوا مشعل الهداية للبشرية، وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فكانوا خير أمة أخرجت للناس.

1 سورة التوبة / الآية 111.

أما بعد .. مما لا شك فيه إن أعلى ممتلكات الإنسان وأثمنها تتجسد بالنفس والمال، فلو لا النفس لأصبح الإنسان في عداد الأموات، ولو لا المال لأصبحت لذات الحياة الدنيا بعيدة عن المنال.

مع هذه الحقيقة .. يحق لنا أن نتساءل: ما الذي يحمل الإنسان على التضحية بنفسه وماله؟ وما هو المقابل العظيم الذي يجعله سعيداً بهذه التضحية الغالية؟

ببساطة شديدة نستطيع القول، إن الإجابة عن هذين السؤالين تجسدت عملياً وتطبيقياً في سلوك أهل بيعة العقبة الكبرى (رضوان الله عليهم أجمعين). إذ عاهدوا الله تعالى - إيماناً به - وبايعوا النبي ﷺ - تصديقاً بكلامه - على التضحية بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله عز وجل، وفي سبيل نشر الإسلام، وإعلاء شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفي سبيل القضاء على الشرك والوثنية، ليبقى مالك الملك ذو الجلال والإكرام .. المعبود الأوحد في هذا الكون الواسع، المصرف لأمر جميع المخلوقات التي لا حول لها ولا قوة إلا بما قدره لها رب العزة. قال تعالى في محكم التنزيل: "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا"¹.

ومقابل هذه التضحية الكبيرة، سيحصل المضحين بأنفسهم وأموالهم على الثمن الذي لا يدانيه ثمن آخر في قيمته .. سيحصلون على سلعة الله .. ألا أن سلعة الله هي الجنة، السلعة التي يقول رب العزة بشأنها: "فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ"². ولسان حال المسلمين الفائزين بالجنة في الآخرة، قوله عز وجل: "وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ"³.

تأسيساً على ما سبق .. تدور فكرة هذا البحث حول العقد الذي أبرمه أهل بيعة العقبة الكبرى، مع الله عز وجل، بشهادة نبي الرحمة ﷺ، والله خير الشاهدين.

مفاد هذا العقد معادلة قائمة على البيع والشراء .. إذ يبيع المسلمون أنفسهم وأموالهم، ويشتررون بثمنها الجنة.

والتزاماً بمبادئ البحث العلمي، وتطبيقاً لمقتضياته، سوف نقوم ومن خلال الصفحات اللاحقة بتقديم عرض لمشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، ومنهجه، وحدوده، وأدواته، انتهائاً بمصطلحات البحث.

1 سورة الأحزاب / الآية 23.

2 سورة آل عمران / جزء من الآية 185.

3 سورة الزمر / الآية 74.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في تفعيل العلاقة بين عنصرين اثنين هما:
العنصر الأول: وهو عنصر (البيع) .. إذ أن عباد الله المؤمنين .. أهل بيعة العقبة الكبرى ﷺ، أدركوا حقيقة كون الحياة الدنيا مزرعة للأخرة، وآثروا ما يبقى على ما يفنى، فقاموا عندها ببيع سلعتهم المتمثلة (بأنفسهم وأموالهم) إلى الله عز وجل.
العنصر الثاني: وهو عنصر (الشراء) .. إذ أن الرحمن الرحيم .. مالك الملك .. ذو الجلال والإكرام، قَبِلَ البيع من عباده المؤمنين فاشتري منهم سلعتهم، وأعطاهم قِبلها (الجنة) .. وهو ثمن لا تعدله السلعة ولكنه فضل الله ومنه.

أهمية البحث:

لا يخفى أن أي جهد علمي مهما كان نوعه وحجمه لا بد له من أهمية، ويجب أن تبرز تلك الأهمية وتحدد كي تقودنا إلى اشتقاق الأهداف. عليه يمكن تلخيص أهمية البحث الحالي في تناوله لجانبين اثنين هما:
الجانب الأول: التفصيل والتحليل الدقيق للآية الكريمة (111) من سورة التوبة .. الموضحة للآية الشراء والبيع بين رب السماوات والأرض من جهة، وعباده المؤمنين من جهة أخرى. تلك الآية القائمة على أساس إقدام العباد المؤمنين على بيع أنفسهم وأموالهم في الدنيا إلى الله تعالى، مقابل حصولهم في الآخرة على الثمن المتجسد بالخلود الأبدي في الجنة.
الجانب الثاني: تناول بيعة العقبة الكبرى، التي نزلت بحق أهلها الآية المشار إليها آنفاً. وهذه البيعة - بملابساتها، وبواعثها، وآثارها، وواقعها التاريخي - تعد بحق (فتح الفتوح) لأنها كانت الحلقة الأولى في سلسلة الفتوحات الإسلامية التي تتابعت حلقاتها في صور متدرجة، مشدودة بهذه البيعة.

أهداف البحث:

توافقاً مع مشكلة البحث وأهميته، يسعى البحث الحالي إلى إثبات حقيقتين اثنتين هما:
الحقيقة الأولى: إن الدخول في الإسلام صفقة بين متبايعين .. الله - سبحانه - فيها هو المشتري، والمؤمن فيها هو البائع. فهي بيعة مع الله لا يبقى بعدها للمؤمن شيء في نفسه ولا في ماله يحتجزه دون الله تعالى، ودون الجهاد في سبيله لتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله. فقد باع المؤمن لله في تلك الصفقة نفسه وماله مقابل ثمن محدد ومعلوم .. هو الجنة.
الحقيقة الثانية: إن الذين باعوا هذه البيعة وعقدوا هذه الصفقة هم صفوة مختارة، ذات صفات مميزة، عكست حقيقة الإيمان وأثره في تربية النفوس .. ذلك الإيمان الذي ظهرت آثاره في استعداد أهل بيعة العقبة الكبرى لأن يبذلوا أرواحهم ودمائهم وأموالهم في سبيل الله ورسوله

ﷺ، ولا يكون لهم الجزاء في هذه الأرض كسباً ولا منصباً ولا قيادة ولا زعامة. إنه أثر الإيمان بالله وبحقيقة هذا الدين العظيم عندما يتغلغل في النفوس فيملك العقل ويملأ القلب.

منهج البحث:

اعتمد الباحث في بحثه على المنهج الوصفي التحليلي من خلال تفسير وتحليل الآية الكريمة (111) من سورة التوبة، مع تدعيم هذا التحليل، بالتناول الدقيق لبيعة العقبة الكبرى، وتوضيح جميع تفصيلاتها وجزئياتها ذات العلاقة بمشكلة البحث وأهميته وأهدافه. إن سبب اعتماد الباحث على الأسلوب الوصفي التحليلي يكمن في جودته وإمكانيته في الوصول إلى استنتاجات وتعميمات تساعد في تطوير الواقع الحالي للمسلمين، وهذا ما عمد إليه الباحث من خلال عرضه في المبحث الثالث للدروس المستفادة من مجمل المبحثين الأول والثاني. ذلك أن أية دراسة تفقد جزءاً كبيراً من قيمتها العلمية إن لم تُدعم بتوضيح كامل للعبر المستخلصة منها بغية تسخير تجارب الماضي لمصلحة الواقع الحالي والمستقبل الآتي.

حدود البحث:

يتحدد نطاق البحث بتناول موضوع "منهج الشراء والبيع بين الله ﷻ وعباده المؤمنين" وذلك من خلال تحليل الآية (111) من سورة التوبة، فضلاً على الدراسة الدقيقة لتفصيلات بيعة العقبة الكبرى، التي بايع أصحابها ﷺ على نصرة النبي الكريم ﷺ، والجهاد في سبيل إعلاء كلمة التوحيد .. كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

أدوات البحث:

دراسة وتحليل تفاسير القرآن العظيم، وكتب السيرة النبوية الشريفة، والمراجع الأخرى ذات العلاقة بما يصب في مصلحة أهداف البحث، ويتوافق مع مشكلة البحث، وأهميته، وحدوده في الوقت نفسه.

مصطلحات البحث:

نعرض فيما يلي التعريفات الخاصة بأهم مصطلحات البحث:

الشراء: شري .. بمعنى شري الشيء يشريه شرياً وشراءً واشتراه سواء، وشراه واشتراه: باعه. قال الله تعالى: "مِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ"¹، وقال تعالى: "وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ"². وقوله عز وجل: "أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ"³ .. قال أبو إسحاق: ليس هنا شراءً ولا بيع، ولكن رغبتهم

1 سورة البقرة / الآية 207.

2 سورة يوسف / من الآية 20.

3 سورة البقرة / من الآية 175.

فيه بتمسكهم به كـرغبة المشتري بماله ما يرغب فيه، والعرب تقول لكل من ترك شيئاً وتمسك بغيره قد اشتراه¹.

البيع: وهو ضد الشراء، والبيع: الشراء أيضاً، وهو من الأضداد. وبيعُ الشيء: شـريته، أبيعُه بيعاً ومبيعاً، وهو شاذ وقياسه مباعاً. والابتياح: الاشتراء. وابتاع الشيء: اشتراه، وأباعه، عرّضه للبيع. واستبعته الشيء أي سألته أن يبيعه مني².

البيعة: الصفقة على إيجاب البيع وعلى المبايعة والطاعة. والبيعة: المبايعة والطاعة. وقد تبايعوا على الأمر: كقولك أصفقوا عليه، وبايعه عليه مبايعة: عاهده. وبايعته من البيع والبيعة جميعاً، والتبايع مثله. وفي الحديث أنه قال: "إلا تبايعوني على الإسلام؟" هو عبارة عن المعاهدة والمعاهدة كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره³.

العقبة: طريق في الجبل، وعر، والجمع عقَبٌ وعقَابٌ. والعقبة: الجبل الطويل، يعرض للطريق فيأخذ فيه، وهو طويل صعب وشديد⁴. أما العقبة التي يُوع فيها النبي ﷺ بمكة فهي عقبة بين منى ومكة، بينها وبين مكة نحو ميلين وعندها مسجد ومنها تُرمى جمرة العقبة، وكان من حديثها أن النبي ﷺ كان في بدء أمره يوافي الموسم بسوق عكاظ وذو المجاز ومجَنَّةً ويتتبع القبائل في رحالها يدعوهم إلى أن يمنعوه ليلبغ رسالات ربه فلا يجد أحداً ينصره حتى إذا كانت سنة إحدى عشرة من النبوة لقي ستة نفر من الأوس عند هذه العقبة فدعاهم ﷺ إلى الإسلام وعرض عليهم أن يمنعوه فقالوا: هذا والله النبي الذي تعدنا به اليهود يجدونه مكتوباً في توراتهم، فأمنوا به وصدقوه. وانصرفوا إلى المدينة وذكروا أمر رسول الله ﷺ فأجابهم ناس وفشا فيهم الإسلام، ثم لما كانت سنة اثنتي عشرة من النبوة وافى الموسم منهم اثنا عشر رجلاً هؤلاء الستة وستة آخر، فلما كانت سنة ثلاث عشرة من النبوة أتى منهم بضع وسبعون رجلاً وامراتان بايعوا النبي ﷺ على التضحية في سبيل الله عز وجل. لذلك لمن يقال له من الأنصار بدريّ فهو منسوب إلى أنه شهد غزوة بدر مع رسول الله ﷺ، وإذا قيل عقبيّ فهو منسوب إلى مبايعة النبي ﷺ في هذا الموضع⁵.

1 للتوسع في معنى الشراء .. ينظر: لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، (430-429/3).

2 للتوسع في معنى البيع .. ينظر: لسان العرب، مصدر سابق، (281-280/1).

3 للتوسع في معنى البيعة .. ينظر: لسان العرب، مصدر سابق، (281/1).

4 لسان العرب، مصدر سابق، (384/4).

5 ينظر: معجم البلدان، للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، (135-134/4).

المبحث الأول

الوصف القرآني

لمنهج الشراء والبيع بين الله ﷻ وعباده المؤمنين

تمهيد:

يتحدد الوصف القرآني لمنهج الشراء والبيع بين الله ﷻ من جهة، وعباده المؤمنين من جهة أخرى .. بقول الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"¹.

ومن جدير القول أن هذه الآية الكريمة نزلت بحق من بايعوا الرسول ﷺ في بيعة العقبة الكبرى. ومن هذه البيعة ما يختص بذوات أنفسهم في تعاملها المباشر مع الله في الشعور والشعائر، ومنها ما يختص بتكاليف هذه البيعة في أعناقهم من العمل خارج ذواتهم لتحقيق دين الله في الأرض من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام على حدود الله في أنفسهم وفي سواهم.

وعند التحليل الدقيق للآية أعلاه، وبعد مراجعة العديد من تفاسير القرآن الكريم، اتضح أن فيما بينها الكثير من القواسم المشتركة، وحسب رأي الباحث المتواضع فإن تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) أكثرها تفصيلاً ووضوحاً، إذ قال أن في الآية ثمان مسائل هي²:

المسألة الأولى: قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ" قيل: هذا تمثيل، مثل قوله تعالى: "أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى"³. ونزلت الآية في البيعة الثانية، وهي بيعة العقبة الكبرى، وهي التي أناف فيها رجال الأنصار على السبعين، وكان أصغرهم سنّاً عقبة بن عمرو، وذلك أنهم اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ عند العقبة، فقال عبد الله بن رواحة للنبي ﷺ: اشترط لربك ولنفسك ما شئت، فقال النبي ﷺ: "اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون من أنفسكم وأموالكم". قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟

1 سورة التوبة / الآية 111.

2 للتوسع في تفسير هذه الآية، ينظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (269-266/8). مختصر تفسير ابن كثير، للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، (172-171/2). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (216-215/2). التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، (307-303/9).

3 ينظر: سورة البقرة / الآية 16 ، وسورة البقرة / الآية 175.

قال ﷺ: "الجنة" قالوا: ربح البيع، لا نُقيل ولا نستقيل، فنزلت: "اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ...". ثم هي بعد ذلك عامة في كل مجاهد في سبيل الله من أمة محمد ﷺ إلى يوم القيامة.

قال أبو السعود: الآية الكريمة ترغيب للمؤمنين في الجهاد. وقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه، حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم التي بذلوها في سبيله - سبحانه - وإثابته إياهم بمقابلتها الجنة بالشراء على طريقة الاستعارة التبيعية. ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد، أنفس المؤمنين وأموالهم، والتمن الذي هو الوسيلة في الصفقة.. أي الجنة. ولم يجعل الأمر على العكس بأن يقال: إن الله باع الجنة إلى المؤمنين بأنفسهم وأموالهم، ليدل على أن المقصد في العقد هو الجنة، وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الأنفس والأموال وسيلة إليها، إيداناً بتعليق كمال العناية بهم وبأموالهم. ثم إنه لم يقل "بالجنة" بل قال: "بأن لهم الجنة" مبالغة في تقرر وصول الثمن إليهم، واختصاصه بهم، فكأنه قيل: بالجنة الثابتة لهم، المختصة بهم¹.

المسألة الثانية: هذه الآية دليل على جواز معاملة السيد مع عبده، وإن كان الكل للسيد لكن إذا ملكه عامله فيما جعل إليه. وجائز بين السيد وعبده ما لا يجوز بينه وبين غيره، لأن ماله له وله انتزاعه.

المسألة الثالثة: أصل الشراء بين الخلق أن يعوضوا عما خرج من أيديهم ما كان أنفع لهم أو مثل ما خرج عنهم في النفع، فاشترى الله سبحانه من العباد إتلاف أنفسهم وأموالهم في طاعته، وإهلاكها في مرضاته، وأعطاهم سبحانه الجنة عوضاً عنها إذا فعلوا ذلك. وهو عوض عظيم لا يدانيه المعوض ولا يقاس به، فأجرى ذلك على مجاز ما يتعارفونه في البيع والشراء (فمن العبد تسليم النفس والمال، ومن الله الثواب والنوال فسمى هذا شراء). وروى الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: "إن فوق كل برٍّ حتى يبذل العبد دمه فإذا فعل ذلك فلا برٍّ فوق ذلك" وقال الشاعر في معنى البر:

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

الجود بالماء جود فيه مكرمة

وأشد الأسمعي لجعفر الصادق ﷺ:

وليس لها في الخلق كلهم تمن

أثامنُ بالنفس النفيسة ربها

بشيء سواها إن ذلكم غيب

بها تشتري الجنات، إن أنا بعنتها

لقد ذهب نفسي وقد ذهب الثمن

لئن ذهب نفسي بدنيا أصبتُها

1 ينظر: تفسير أبي السعود (291/2)، المشار إليه في التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مصدر سابق، (305-304/9).

قال الحسن: ومرّ أعرابي على النبي ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ" فقال: كلام من هذا؟ قال ﷺ: "كلام الله" قال: بيع والله مريح لا نُقِيلُه ولا نستقيله. فخرج إلى الغزو واستشهد.

المسألة الرابعة: قال العلماء: كما اشترى من المؤمنين البالغين المكلفين كذلك اشترى من الأطفال فالهم وأسقمهم، لما في ذلك من المصلحة وما فيه من الاعتبار للبالغين، فإنهم لا يكونون عند شيء أكثر صلاحاً وأقل فساداً منهم عند ألم الأطفال، وما يحصل للوالدين الكافلين من الثواب فيما ينالهم من الهمّ ويتعلق بهم من التربية والكفالة. ثم هو عز وجل يعوّض هؤلاء الأطفال عَوْضاً إذا صاروا إليه. ونظير هذا في الشاهد أنك تستخدم الأجير ليبني وينقل التراب وفي كل ذلك له ألم وأذى، ولكن ذلك جائز لما في عمله من المصلحة ولما يصل إليه من الأجر.

المسألة الخامسة: قوله تعالى: "يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" بيان لما يُقاتل له وعليه. "فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ". وفي هذا تبيان للوسيلة التي توصل العباد المؤمنين إلى الجنة وهي القتال في سبيله عز وجل. أي: أنهم يقاتلون في سبيل الله، فمنهم من يقتل أعداء الله، ومنهم من يُقتل على أيدي هؤلاء الأعداء، وكلا الفريقين القاتل والمقتول جزاؤه الجنة.

وقرأ حمزة والكسائي بتقديم الفعل المبني للمفعول على الفعل المبني للفاعل. وهذه القراءة فيها إشارة إلى أن حرص هؤلاء المؤمنين الصادقين على الاستشهاد أشد من حرصهم على النجاة من القتل، لأن هذا الاستشهاد يوصلهم إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وإلى الحياة الباقية الدائم¹.

المسألة السادسة: قوله تعالى: "وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ" إخبار من الله تعالى أن هذا كان في هذه الكتب، وأن الجهاد ومقاومة الأعداء أصله من عهد موسى عليه السلام. و"وَعَدَا" و"حَقًّا" مصدران مؤكّدان.

أي: أن هذه الجنة التي هي جزاء المجاهدين، قد جعلها - سبحانه - تفضلاً منه وكرماً، حقاً لهم عليه، وأثبت لهم ذلك في الكتب السماوية التي أنزلها على رسله.

قال الألوسي ما ملخصه: قوله: "وَعَدَا عَلَيْهِ" لمضمون الجملة، وقوله "حَقًّا" نعت له، وقوله "عَلَيْهِ" في موضع الحال من قوله "حَقًّا" لتقدمه عليه، وقوله: "فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ" متعلق بمحذوف وقع نعتاً لقوله "وَعَدَا" أيضاً. أي: وعداً مثبتاً في التوراة والإنجيل

¹ ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مصدر سابق، (305/9).

كما هو مثبت في القرآن، فالمراد إلحاق مالا يعرف بما يعرف، إذ من المعلوم ثبوت هذا الحكم في القرآن، ثم إن ما في الكتابين إما أن يكون أن أمة محمد ﷺ اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بذلك، أو أن من جاهد بنفسه وماله من حقه ذلك، وفي كلا الأمرين ثبوت موافق لما في القرآن¹.

المسألة السابعة: قوله تعالى: "وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ" أي لا أحد أوفى بعهد من الله. وهو يتضمن الوفاء بالوعد والوعيد، ولا يتضمن وفاء البارئ بالكل، فأما وعده فللجميع، وأما وعيده فمخصوص ببعض المذنبين وبعض الذنوب وفي بعض الأحوال².

وقوله: "وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ" حملة معترضة مسوقة لتأكيد مضمون ما قبلها من حقية الوعد وتقديره. والاستفهام للنفي. أي: لا أحد أوفى بعهد من الله - تعالى - لأنه إذا كان خلف الوعد لا يكاد يصدر من كرام الخلق مع إمكان صدوره منهم، فكيف يكون الحال من جانب الخالق - عز وجل - المنزه عن كل نقص، المتصف بكل كمال³.

المسألة الثامنة: قوله تعالى: "فَاسْتَبَشِرُوا ببيِعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ" أي أظهروا السرور بذلك. والبطارة إظهار السرور في البشارة⁴. وقال الحسن: والله ما على الأرض مؤمن إلا يدخل في هذه البيعة. "وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" أي الظفر بالجنة والخلود فيها.

في قوله: "فَاسْتَبَشِرُوا ببيِعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ" وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" نجد أن الله تعالى يحرض المؤمنين على قتال أعداء الدين، ويعلمهم بأنهم رابحون في هذه الصفقة. والاستبشار: الشعور بفرح البشرى، شعوراً تنبسط له أسرير الوجه. أي: إذا كان الأمر كذلك فافرحوا ببيعتكم الذي بايعتكم به غاية الفرح، وارضوا به نهاية الرضى، فإن ذلك البيع هو الفوز العظيم الذي لا فوز أعظم منه.

قال بعض العلماء: ولا ترى ترغيباً في الجهاد أحسن ولا أبلغ من هذه الآية لأنه أبرزه في صورة عقد عقده رب العزة، وثمانه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ولم يجعل المعقود عليه كونهم مقتولين فقط، بل إذا كانوا قاتلين أيضاً لإعلاء كلمته، ونصر دينه، وجعله مسجلاً في الكتب السماوية، وناهيك به من صك. وجعل وعده حقاً، ولا أحد أوفى من وعده. وأشار إلى ما فيه من الربح والفوز العظيم. وهو استعارة تمثيلية، حيث

1 ينظر: تفسير الألوسي (19/1)، المشار إليه في التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مصدر سابق، (305/9-306).

2 للتوسع ينظر: الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، (333/5 وما بعدها).

3 ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مصدر سابق، (306/9).

4 التبشير: الإخبار بما يظهر أثره على البشرية - وهي ظاهر الجلد - لتغيرها بأول خبر يرد عليك، ثم الغالب أن يستعمل في السرور مقيداً بالخير المبشر به، وغير مقيد أيضاً. ولا يستعمل في الغم والشر إلا مقيداً منصوصاً على الشر المبشر به. للتوسع ينظر: الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، (238/1).

صور جهاد المؤمنين، وبذل أموالهم وأنفسهم فيه وإثابة اللهم لهم على ذلك الجنة، بالبيع والشراء. وأتى بقوله "يُقَاتِلُونَ" بياناً لمكان التسليم وهو المعركة، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: "الجنة تحت ظلال السيوف" ثم أمضاه بقوله: "وَدَلِكِ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"¹.

ويروى عن الحسن البصري أنه قرأ هذه الآية فقال: انظروا إلى كرم الله تعالى ..
أنفس هو خالقها، وأموال هو رازقها، ثم يكافئنا عليها متى بذلناها في سبيله بالجنة².

1 ينظر: تفسير القاسمي (273/8)، المشار إليه في التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مصدر سابق، (306/9-307).
2 ينظر: المشار إليه في التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مصدر سابق، (307/9).

المبحث الثاني

بيعة العقبة الكبرى

بين العباد المؤمنين والله ﷻ

تمهيد:

في موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة - يونيو سنة 622هـ - حضر لأداء مناسك الحج بضع وسبعون نفساً من المسلمين من أهل يثرب، جاءوا ضمن حجاج قومهم من المشركين، وقد تساءل هؤلاء المسلمون فيما بينهم - وهم لم يزلوا في يثرب أو كانوا في الطريق - حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطوف ويطرد في جبال مكة ويخاف؟ فلما قدموا مكة جرت بينهم وبين النبي ﷺ اتصالات سرية، أدت إلى اتفاق الفريقين على أن يتجمعوا في أوسط أيام التشريق في الشعب عند العقبة حيث الجمرة الأولى من منى، وأن يتم هذا الاجتماع في سرية تامة في ظلام الليل.

بعد هذا التمهيد لنترك كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، أحد قادة الأنصار يصف لنا هذا الاجتماع التاريخي، الذي حوّل مجرى الأيام في صراع الوثنية والإسلام.

قال ابن إسحاق بسنده عن كعب بن مالك، قال: ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق، قال: فلما فرغنا من الحج، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا وشريف من أشرفنا، أخناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فكلمناه، وقلنا له: يا أبا جابر، إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرفنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباءً للنار غداً، ثم دعواناه إلى الإسلام، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة، قال: فأسلم وشهد معنا العقبة، وكان نقيباً¹.

خروجهم ليلاً لميعاد النبي ﷺ وعودتهم:

قال ابن إسحاق بسنده عن كعب قال: ... فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا مستخفين، حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً، ومعنا امرأتان² من نسائنا: نسبية

1 ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، رواية ابن إسحاق، (49/2). مسند الإمام أحمد بن حنبل، (461/3). دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (441/2). عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، ابن سيد الناس، (162/1).

2 ذكر ابن هشام في السيرة (74-63/2) عن ابن إسحاق أسماء من شهد العقبة الثانية على حسب القبائل.

بنت كعب (أم عمارة) إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو (أم منيع) من بني سلمة¹.

فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه، ويتوثق له، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب.

بداية الحادثة وتشريح العباس لخطورة المسؤولية:

وبعد أن تكامل المجلس بدأت المحادثات لإبرام التحالف الديني والعسكري، وكان أول المتكلمين هو العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ. تكلم ليشرح لهم - بكل صراحة - خطورة المسؤولية التي ستلقى على كواهلهم نتيجة لهذا التحالف. قال:

يا معشر الخزرج - وكانت العرب يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج، خزرجها وأوسها - إن محمداً منّا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عزٍّ من قومه ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه، وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عزٍّ ومنعة من قومه وبلده².

قال كعب: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت³.

وهذا الجواب يدل على ما كانوا عليه من عزم وتصميم وشجاعة وإيمان وإخلاص في تحمل هذه المسؤولية العظيمة، وتحمل عواقبها الخطيرة.

عزم الأنصار على نصرته النبي ﷺ وعهده إليهم:

قال كعب: فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: "أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم"، قال: فأخذ البراء بن معرور بيده،

1 السيرة النبوية لابن هشام، مصدر سابق، (49/2).

2 ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، مصدر سابق، (49/2). مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصدر سابق، (461/3). دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، مصدر سابق، (446/2). عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، مصدر سابق، (163/1).

3 السيرة النبوية لابن هشام، مصدر سابق، (442-441/1).

ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا¹، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحروب، وأهل الحلقة ورتناها كابرًا عن كابر².

وفي رواية الإمام أحمد بمسنده عن عامر، قال: انطلق النبي ﷺ ومعه العباس عمه إلى السبعين من الأنصار عند العقبة تحت الشجرة، فقال: "ليتكلم متكلمكم، ولا يطيل الخطبة، فإن عليكم من المشركين عيناً، وإن يعلموا بكم يفضحوكم"، فقال قائلهم، وهو أبو أمامة: سل يا محمد لربك ما شئت ثم سل لنفسك ولأصحابك ما شئت، ثم أخبرنا ما لنا من الثواب على الله عز وجل، وعليكم إذا فعلنا ذلك، قال: فقال: "أسألكم لربي عز وجل، أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأسألكم لنفسي ولأصحابي أن تؤونا وتتصرونا وتمنعونا مما منعتم منه أنفسكم"، قالوا: فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال: "لكم الجنة"، قالوا: فلك ذلك³.

أما ابن سعد في "الطبقات"، فقد روى عن عبادة بن الوليد بن الصامت فذكر الحديث وفيه: قال: فقال أسعد بن زُرارة: يا رسول الله، أشرت على علي، فقال رسول الله ﷺ: "تبأيعوني على أن تشهدوا ألا إله إلا الله وأني رسول الله، وتقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة، والسمع والطاعة، ولا تنازعوا الأمر أهله، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأهلكم". قالوا نعم، قال قائل من الأنصار: نعم، هذا لك يا رسول الله فما لنا؟ قال: "الجنة والنصر"⁴.

رجال من الأنصار يشدون العقد للنبي ﷺ:

❖ مقالة أسعد بن زُرارة ﷺ:

روى الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله، فذكر الحديث وفيه قال: فأخذ بيده أسعد بن زُرارة، وهو أصغر السبعين، فقال: رويداً يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد المطيِّ إلا ونحن نعلم أنه رسول الله⁵، إن إخراجهم اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف⁶، فإما أنتم قوم تصبرون على السيوف إذا مسّتكم وعلى قتل خياركم، وعلى مفارقة العرب كافة، فخذوه وأجركم على الله عز وجل، وإما أنتم قوم تخافون من

1 قال ابن سيد الناس في عيون الأثر (171/1): العرب تُكّني عن المرأة بالإزار، وتُكّني به أيضاً عن النفس، وتجعل الثوب عبارة عن لابس، ويحتمل هنا الوجهين.

2 السيرة النبوية لابن هشام، مصدر سابق، (50/2). ولتخريج الحديث، ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصدر سابق، (461/3).

3 ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصدر سابق، (119/4). ورواه البيهقي مختصراً في دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، مصدر سابق، (451/2).

4 بنظر: الطبقات الكبرى لابن سعد، (222/1).

5 أي لم نجهد مطايانا في المسير إليه إلا لعلنا أنه رسول الله. يقال: فلان تُضربُ إليه أكباد الإبل، أي يُرحل إليه في طلب العلم وغيره. ينظر: لسان العرب، مصدر سابق، (115-113/4).

6 أعضضته سيفي: ضربته به. ينظر: لسان العرب، مصدر سابق، (306/4).

أنفسكم خفةً فذروه، فهو أعذر عند الله، قالوا: يا أسعد بن زرارة أمط عنا يدك، فوالله لا نذرُ هذه البيعة ولا نستقبلها¹.

❖ مقالة البراء بن معرور رضي الله عنه:

روى الحاكم بسنده عن ابن عباس (رضي الله عنهما) فذكر الحديث وفيه قال: فقام البراء بن معرور، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وجاءنا به، وكان أول من أجاب وآخر من دعا، فأجبتنا الله عز وجل، وسمعنا وأطعنا، يا معشر الأوس والخزرج، قد أكرمكم الله بدينه، فإن أخذتم السمع والطاعة والموازرة بالشكر، فأطيعوا الله ورسوله ثم جلس³.

❖ مقالة أبي الهيثم بن التيهان رضي الله عنه:

قال ابن إسحاق بسنده عن كعب بن مالك، فذكر الحديث وفيه قال: فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبلاً، وإننا قاطعومها (يعني اليهود) فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: "بل الدّم الدّم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتكم وأسالم من سالمتم" ... قال ابن هشام: ويقال الهدم الهدم: أي ذمتي ذمتكم، وحُرمتي حرمتكم⁴.

❖ مقالة العباس بن نضلة رضي الله عنه:

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري أخو بني سالم بن عوف: يا معشر الخزرج، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا نعم، قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت⁵ أموالكم مصيبة وأشرافكم قتل أسلمتموه فمن الآن، فهو والله إن فعلتم جزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه

1 نستقبلها: استقال العهد: طلب أن يُفسخ. وقاله البيهقي قتيلاً وأقاله إقالة. واستقالني: طلب إلي أن أقبله. وتقاليل التبيعان: تفساخا صفقتهم. وتقاليل إذا فسخا البيع وعاد المبيع إلى مالكة والتمن إلى المشتري إذا كان قد ندم أحدهما أو كلاهما. وتكون الإقالة في البيعة والعهد. ينظر: لسان العرب، مصدر سابق، (355/5).

2 ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصدر سابق، (340/3). دلائل النبوية ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، مصدر سابق، (443/2).

3 رواه ابن سعد في الطبقات، مصدر سابق، (618/3)، وزاد: "وكان البراء أول من تكلم من النقباء ليلة العقبة حين لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم".

4 ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، مصدر سابق، (50/2). مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصدر سابق، (462/3). دلائل النبوة في معرفة أحوال صاحب الشريعة، مصدر سابق، (447/2). عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، مصدر سابق، (164/1).

5 نهكت: النهك: التئفص. يقال: نهكته الحمى نهكاً، ونهكت الإبل ماء الحوض إذا شربت جميع ما فيه. ينظر: لسان العرب، مصدر سابق، (268/6).

إليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة، قالوا: فإننا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال: "الجنة"، قالوا: أبسط يدك، فبسط يده فبايعوه، فأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال: والله ما قال ذلك العباس إلا ليشد العقد لرسول الله ﷺ في أعناقهم، وأما عبد الله بن أبي بكر فقال: ما قال ذلك العباس إلا ليؤخر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي سلول فيكون أقوى لأمر القوم، فإله أعلم أي ذلك كان¹.

نص البيعة:

روى الإمام أحمد بسنده عن إسماعيل بن عبيد الأنصاري فذكر الحديث وفيه: فقال عبادة لأبي هريرة: يا أبا هريرة، إنك لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله ﷺ. إنا بايعناه على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في اليسر والعسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله تبارك وتعالى ولا نخاف لومة لائم فيه، وعلى أن ننصر النبي ﷺ إذا قدم علينا يثرب، فمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأبناءنا، ولنا الجنة. فهذه بيعة رسول الله ﷺ التي بايعنا عليها، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما بايع رسول الله ﷺ وفي الله تبارك وتعالى بما بايع عليه نبيه ﷺ².

وفي مسنده عن جابر مفضلاً. قال جابر: قلنا: يا رسول الله على ما نبايعك؟ قال: "على السمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أن تقوموا في الله، لا تأخذكم في الله لومة لائم، وعلى أن تتصروني إذا قدمت إليكم، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم، ولكم الجنة"³.

اختيار النقباء:

قال ابن إسحاق بسنده عن كعب فذكر الحديث وفيه قال كعب: وقد قال رسول الله ﷺ: "أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيه"، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً: تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس⁴.

1 ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، مصدر سابق، (55/2). مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصدر سابق، (462/3). دلائل النبوة في معرفة أحوال صاحب الشريعة، مصدر سابق، (448/2). عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، مصدر سابق، (364/2).
2 ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصدر سابق، (325/5). دلائل النبوة في معرفة أحوال صاحب الشريعة، مصدر سابق، (443، 452/2).
3 رواه الإمام أحمد بإسناد حسن، وصححه الحاكم وابن حبان .. ينظر: مختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله النجدي، ص: 155.

4 ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، مصدر سابق، (51/2). مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصدر سابق، (462/3). دلائل النبوة في معرفة أحوال صاحب الشريعة، مصدر سابق، (448/2). عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، مصدر سابق، (164/1).

وعن ابن إسحاق أيضاً، قال: فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال للنفباء: "أنتم على قومكم بما فيهم كُفلاء¹ ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي، يعني المسلمين"، قالوا: نعم².

أسماء النفباء:

قال ابن هشام تحت عنوان أسماء النفباء الاثني عشر: من الخزرج - فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي المطلبى عن محمد بن إسحاق - أبو أمامة أسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع، وعبد الله بن رَوَاحَة، ورافع بن مالك، والبراء بن معرور، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وعُبادَة بن الصامت، وسعد بن عُبادة، والمنذر بن عمرو. ومن الأوس: أُسَيد بن حُضَير، وسعد بن خيثمة، ورفاعة بن عبد المنذر... قال ابن هشام: وأهل العلم يَعُدُّون فيهم أبا الهيثم بن التَّيْهَان، ولا يعدون رفاعة³.

وروى البيهقي عن كعب بن مالك فذكر الحديث وفيه قال: فكان نقيب بني النجار: أسعد ابن زرارة، وكان نقيب بني سلمة: البراء بن معرور، وعبد الله بن حرام. وكان نقيب بني ساعدة: سعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو. وكان نقيب بني زُرَيْق: رافع بن مالك ابن العجلان. وكان نقيب بني الحارث بن الخزرج: عبد الله بن رَوَاحَة، وسعد بن الربيع. وكان نقيب القواقل بني عوف بن الخزرج: عُبادة بن الصامت، وفي الأوس من بني عبد الأشهل: أُسَيد بن حُضَير، وأبو الهيثم بن التَّيْهَان. وكان نقيب بني عمرو بن عوف: سعد ابن خيثمة⁴.

تحذير الشيطان قريشاً من البيعة:

قال ابن إسحاق بسنده عن كعب بن مالك فذكر الحديث وفيه قال: فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قد: يا أهل الجباب⁵ هل لكم في مُذَمَّمٍ والصُّبَاء⁶ معه قد اجتمعوا على حربكم؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: "هذا أَرَبُ العقبة، هذا ابن أَرَيْبٍ (قال ابن هشام: ويُقال ابن أَرَيْبٍ) استمع أي عدو الله، أما والله لأفرغن لك" قال: ثم قال

1 كفلاء: تكفل بالشيء: ألزمه نفسه وتحمل به. يقال: نكفلت بالشيء: معناه قد ألزمته نفسي وأزلت عنه الضيعة والذهاب، وهو مأخوذ من الكفل. ينظر: لسان العرب، مصدر سابق، (421/5).
2 ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، مصدر سابق، (55/2). دلائل النبوة في معرفة أحوال صاحب الشريعة، مصدر سابق، (452/2). الطبقات الكبرى لابن سعد، مصدر سابق، (223/1).
3 ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، مصدر سابق، (51/2). عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، مصدر سابق، (164/1).
4 ينظر: دلائل النبوة في معرفة أحوال صاحب الشريعة، مصدر سابق، (448/2).
5 أهل الجباب: يعني منازل منى. ينظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، (172/1).
6 الصُّبَاء: جمع صابيء، كانت العرب تسمي المسلمين بالصُّبَاء لأنهم خرجوا من دين قريش إلى دين الإسلام. ينظر: لسان العرب، مصدر سابق، (6/4).

رسول الله ﷺ: "ارفضوا¹ إلى رحالكم"، قال: فقال له العباس بن عباد بن نضلة: والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا، قال: فقال رسول الله ﷺ: "لم نوامر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم". قال: فرجعنا إلى مضاجعنا، فمنا عليها حتى أصبحنا².

استجلاء قريش الحقيقة واحتجاجها لدى رؤساء يثرب:

قال ابن إسحاق بسنده عن كعب بن مالك فذكر الحديث وفيه قال: فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤونا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من أظهرنا، وتبايعونه على حربنا، وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم، قال فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء، وما علمناه³، قال: وقد صدقوا لم يعلموه، قال: وبعضنا ينظر إلى بعض، قال: ثم قام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان له جديان، قال: فقلت له كلمة كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا: يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ، وأنت سيد من ساداتنا، مثل نعلي هذا الفتى من قريش؟ قال: فسمعها الحارث، فخلعهما من رجليه، ثم رمى بهما إليّ، فقال: والله لتتعلنهما، قال: يقول أبو جابر: مة، أحفظت والله الفتى، فاردد إليه نعليه، قال: قلت: لا والله لا أردهما، فأل والله صالح، والله لئن صدق الفأل لأسلبنه⁴.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، أنهم أتوا عبد الله بن أبي سلول فقالوا له مثل ما قال كعب من القول، فقال لهم: إن هذا لأمر جسيم، ما كان قومي ليتفوتوا⁵ عليّ بمثل هذا، وما علمته كان، قال: فانصرفوا عنه⁶.

1 ارفضوا: ارفضوا: تفرقوا. يقال: القوم رفض في بيوتهم أي تفرقوا في بيوتهم، والناس أرفض في السفر أي متفرقون. ينظر: لسان العرب، مصدر سابق، (97/3).
2 ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، مصدر سابق، (56/2). مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصدر سابق، (462/3).
3 دلائل النبوة في معرفة أحوال صاحب الشريعة، مصدر سابق، (448/2). عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، مصدر سابق، (166/1).
4 ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، مصدر سابق، (57/2). دلائل النبوة في معرفة أحوال صاحب الشريعة، مصدر سابق، (449/2).
5 ليتفوتوا: بمعنى ليفتاتوا. يقال: افتأت فلان علينا يفتت إذا استبد علينا برأيه. وافتأت بأمره ورأيه إذا استبد به وانفرد. ينظر: لسان العرب، مصدر سابق، (83/5).
6 ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، مصدر سابق، (57/2). دلائل النبوة في معرفة أحوال صاحب الشريعة، مصدر سابق، (449/2).

تأكد قريش من صحة الخبر وملاحقتها المبايعين:

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر فذكر الحديث وفيه قال: ونفر الناس من منى فتنطس¹ القوم الخير، فوجدوه قد كان، وخرجوا في طلب القوم، فأدركوا سعد بن عبادة بأذخر، والمنذر بن عمرو أبا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وكلاهما كان نقيباً، فأما المنذر فأعجز القوم، وأما سعد فربطوا يديه إلى عنقه بنسج² رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجُمَّته³، وكان ذا شعر كثير، قال سعد: فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع علي نفر من قريش فيهم رجل وضيء أبيض شعشاع⁴ حلو من الرجال. قال: قلت في نفسي: إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا، قال: فلما دنا مني رفع يده فلكنني لكمة شديدة. قال: قلت في نفسي: لا والله ما عندهم بعد هذا من خير، قال: فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى⁵ لي رجل ممن كان معهم، فقال: ويحك!! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد؟ قال: قلت: بلى والله، لقد كنت أجير لجبير ابن مطعم تجارة، وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي، وللحارث بن حرب، قال: ويحك!! فاهتف باسم الرجلين، واذكر ما بينك وبينهما، قال: ففعلت، وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما: إن رجلاً من الخزرج الآن يُضرب بالأبطح ليهتف بكما، ويذكر أن بينه وبينكما جواراً، قالوا: ومن هو؟ قال: سعد بن عبادة، قالوا: صدق والله إن كان ليجير لنا تجارتنا ويمنعهم أن يُظلموا ببلده، قال: فجاء فخلصاً سعداً من أيديهم، فانطلق، وكان الذي لكم سعداً سهيل بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي⁶.

وحين فقدت الأنصار سعد بن عبادة، تشاوروا فيما بينهم لأجل أن يكرّوا إليه، فإذا هو قد طلع عليهم، فرحل القوم جميعاً إلى المدينة⁷.

1 فتنطس: تنطس عن الأخبار: بحث، وتنطست الأخبار: تجسستها. والناطس: الجاسوس. ينظر: لسان العرب مصدر سابق، (207/6).

2 بنسج: النسج: سير يُضفر على هيئة أعة النعال تُشدُّ به الرحال، والجمع أنساع ونسوع ونُسج. ينظر: لسان العرب، مصدر سابق، (178/6).

3 بجُمَّته: الجُمَّة، بالضم: مجتمع شعر الرأس وهي أكثر من الوفرة. والجُمَّة من الرس: ما سقط على المنكبين. ينظر: لسان العرب، مصدر سابق، (463/1).

4 شعشاع: الشعشاع: الحسن الوجه الخفيف الروح. ينظر: لسان العرب، مصدر سابق، (445/3).

5 أوى: رق له ورثي ورجم. ينظر: لسان العرب، مصدر سابق، (180/1).

6 ينظر: دلائل النبوة في معرفة أحوال صاحب الشريعة، مصدر سابق، (455/2). عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، مصدر سابق، (166/1) باختصار.

7 ينظر: طبقات ابن سعد، مصدر سابق، (223/1).

هذه هي بيعة العقبة الثانية - التي تعرف ببيعة العقبة الكبرى - وقد تمت في جو تعلوه عواطف الحب والولاء والتناصر بين أشتات المؤمنين، والثقة والشجاعة والاستبسال في هذه السبيل، فمؤمن من أهل يثرب يحنو على أخيه المستضعف في مكة، ويتعصب له، ويغضب من ظالمه، وتجيش في حناياه مشاعر الود لهذا الأخ الذي أحبه بالغيب في ذات الله. ولم تكن هذه المشاعر والعواطف نتيجة نزعة عابرة تزول على مر الأيام، بل كان مصدرها هو الإيمان بالله عز وجل وبرسوله ﷺ وبكتابه العزيز .. إيمان لا يزول أمام أي قوة من قوات الظلم والعدوان، إيمان إذا هبت ريحه جاءت بالعجائب في العقيدة والعمل، وبهذا الإيمان استطاع المسلمون أن يسجلوا على أوراق الدهر أعمالاً، ويتركوا عليها آثاراً، خلا عن نظائرها الغابر والحاضر، وسوف يخلو المستقبل.

المبحث الثالث

الدروس والعبر المستفادة

من بيعة العقبة الكبرى

تمهيد:

تمت بيعة العقبة الكبرى، وفيها أخذ رسول الله ﷺ من عهود ومواثيق على أقوى طليعة من طلائع أنصار الله الذين كانوا أعرف الناس بقدر مواثيقهم وعهودهم، وكانوا أسمح الناس بالوفاء بما عاهدوا الله ورسوله عليه من التضحية مهما بلغت متطلباتها من الأرواح والدماء والأموال، فهذه البيعة في بواعثها هي بيعة الإيمان بالحق ونصرتة، وهي في ملبساتها قوة تناضل قوى هائلة تقف متألبة عليها، ولم يغل عن أنصار الله قدرها ووزنها في ميادين الحروب والقتال، وهي في آثارها تسمير ناهض بكل ما يملك أصحابها من وسائل الجهاد القتالي في سبيل إعلاء كلمة الله على كل عالٍ مستكبر في الأرض حتى يكون الدين كله لله، وهي في واقعها التاريخي صدق وعدل ونصر واستشهاد وتبليغ لرسالة الإسلام.

إن الباحث إذ يشدد على وجوب وضرورة هذه المبحث، يود التنبيه على أن أية دراسة لأمجاد التاريخ الإسلامي ينبغي أن يرافقها تحديد دقيق وعملي للدروس المستفادة، كي لا تصبح البحوث التاريخية مجرد ترف فكري عديم الفائدة والأهمية. لذلك سنقوم من خلال الصفحات اللاحقة بمناقشة وتحليل الدروس والعبر المستفادة من هذه البيعة المباركة:

أولاً: إن حقيقة الإيمان وأثره في تربية النفوس تظهر آثارها في استعداد قيادات يثرب لأن تبذل أرواحها ودمائها في سبيل الله عز وجل ورسوله ﷺ، ولا يكون لها جزاء.. لا منصباً ولا قيادة، وهم الذين أفنوا عشرات السنين من أعمارهم يتصارعون على الزعامة. إنه أثر الإيمان بالله وبحقيقة هذا الدين عندما يتغلغل في النفوس.

ثانياً: يظهر التخطيط العظيم في بيعة العقبة، إذ تمت في ظروف غاية في الصعوبة، وكانت تمثل تحدياً خطيراً وجريئاً لقوى الشرك في ذلك الوقت، ولذلك كان التخطيط النبوي لنجاحها في غاية الإحكام والدقة، على النحو التالي¹:

1. سرية الحركة والانتقال لجماعة المبايعين، حتى لا ينكشف الأمر. فقد كان وفد المبايعة المسلم من بين وفد يثربي قوامه نحو خمسمائة، مما جعل حركة المسلمين صعبة، وانتقالهم أمراً غير ميسور، وقد تحدد موعد اللقاء في ثاني أيام التشريق بعد

1 ينظر: الهجرة النبوية المباركة، عبد الرحمن البر، ص: 61 وما بعدها.

- ثالث الليل، إذ النوم قد ضرب أعين القوم، والحركة قد هدأت. كما تم تحديد المكان في الشعب الأيمن، بعيداً عن عين من قد يستيقظ من النوم لحاجة.
2. الخروج المنظم لجماعة المبايعين إلى موعد مكان الاجتماع، فخرجوا يتسللون مستخفين، رجلاً رجلاً، أو رجلين رجلين.
3. ضرب السرية التامة على موعد مكان الاجتماع، بحيث لم يعلم به سوى العباس بن عبد المطلب الذي جاء مع النبي ﷺ ليتوثق له، وعلي بن أبي طالب ﷺ الذي كان عيناً للمسلمين على فم الشعب، وأبو بكر الصديق ﷺ الذي كان عيناً للمسلمين أيضاً على الطريق. أما من عداهم من المسلمين وغيرهم فلم يكونوا على علم بشيء، وقد أمر ﷺ جماعة المبايعين أن لا يرفعوا الصوت وأن لا يطيلوا في الكلام، حذراً من وجود عين يسمع صوتهم، أو يجس حركتهم.
4. متابعة الإخفاء والسرية، حين كشف الشيطان أمر البيعة، فأمرهم النبي ﷺ أن يرجعوا إلى رحالهم ولا يحدثوا شيئاً، رافضاً الاستعجال في المواجهة المسلحة التي لم تنتهياً لها الظروف بعد، وعندما جاءت قريش تستبرئ الخبر موّه المسلمون عليهم بالسكوت، أو المشاركة بالكلام الذي يشغل عن الموضوع.
5. اختبار الليلة الأخيرة من ليالي الحج، وهي ليلة الثالث عشر من ذي الحجة، إذ سينفر الحجاج إلى بلادهم ظهر اليوم التالي وهو يوم الثالث عشر، ومن ثم تضيق الفرصة أمام قريش في اعتراضهم أو تعويقهم إذا انكشف أمر البيعة، وهو أمر متوقع وهذا ما حدث.

ثالثاً: كانت بنود البيعة واضحة ومحددة بدقة لا تقبل التميع والتراخي، ولا تتحمل تعدد التفسيرات والتأويلات بشأنها. وهذه من السمات المهمة والضرورية التي ينبغي أن تتسم بها تعاقبات وتحالفات المسلمين على جميع الأصعدة السياسية والإدارية والتجارية والاجتماعية. (لمراجعة الروايات الخاصة ببنود البيعة، ينظر: المبحث الثاني من هذه الدراسة).

رابعاً: في شأن الحديث عن عزم الأنصار على نصره النبي ﷺ وعهده إليهم (ينظر المبحث الثاني) قال كعب: فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن، ودعا إلى الله، ورغب في الإسلام، ثم قال: "أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم"، قال: فأخذ البراء بن معرور

بيده، ثم قال: نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا¹، فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحروب، وأهل الحلقة ورتناها كابرًا عن كابر².

بصدد البراء بن معرور .. يجدر الإشارة إلى أنه عندما جاء مع قومه من يثرب قال لهم: إني قد رأيت رأياً فوالله ما أرى أتوافقوني عليه أم لا ؟ فقالوا: وما ذاك ؟ قال: قد رأيت أن لا أدع هذه البنية - يعني الكعبة - مني بظهر، وأن أصلي إليها، فقالوا له: والله ما بلغنا أن النبي ﷺ يصلي إلا إلى الشام (بيت المقدس) وما نريد أن نخالفه، فكانوا إذا حضرت الصلاة صلوا إلى بيت المقدس، وصلّى هو إلى الكعبة، واستمروا كذلك حتى قدموا مكة، وتعرفوا إلى رسول الله ﷺ وهو جالس مع عمه العباس بالمسجد الحرام، فسأل النبي ﷺ العباس: "هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟" قال: نعم، هذا البراء بن معرور سيد قومه، وهذا كعب بن مالك، فقال النبي ﷺ: "الشاعر؟" قال: نعم، فقصّ عليه البراء ما صنع في سفره من صلاته إلى الكعبة. قال: فماذا ترى يا رسول الله ؟ قال ﷺ: "قد كنت على قبة لو صبرت عليها"³. قال كعب: فرجع البراء إلى قبة رسول الله ﷺ، وصلّى معنا إلى الشام فلما حضرته الوفاة أمر أهله أن يوجهوه قبل الكعبة، ومات في صفر قبل قدمه ﷺ بشهر، وأوصى بثلاث ماله إلى النبي، فقبله وردّه على ولده، وهو أول من أوصى بثلاث ماله⁴. ويستوقفنا في هذا الخبر:

1. الانضباط والالتزام من المسلمين بسلوك رسولهم وأوامره، وأن أي اقتراح - مهما كان مصدره - يتعارض مع ذلك يعد مرفوضاً، وهذه من أولويات الفقه في دين الله عز وجل، تأخذ حيزها من حياتهم وهم بعد ما زالوا في بداية الطريق.
2. إن السيادة لم تعد لأحد غير رسول الله ﷺ، وإن توقيف أي إنسان واحترامه إنما هو انعكاس لسلوكه والتزامه بأوامر الرسول ﷺ، وهكذا بدأت تنزاح تقاليد جاهلية لتحل محلها قيم إيمانية، فهي المقاييس الحقّة التي بها يمكن الحكم على الناس تصنيفاً وترتيباً.

خامساً: كان أبو الهيثم بن التيهان صريحاً عندما قال: يا رسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبلاً، وإنّا قاطعومها (يعني اليهود) فهل عسيّت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال: فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: "بل الدّم الدّم، والهدم الهدم، أنا منكم

1 قال ابن سيد الناس في عيون الأثر (171/1): العرب تُكّني عن المرأة بالإزار، وتُكّني به أيضاً عن النفس، وتجعل الثوب عبارة عن لابس، ويحتمل هنا الوجهين.

2 السيرة النبوية لابن هشام، مصدر سابق، (50/2). ولتخريج الحديث، ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصدر سابق، (461/3).

3 ينظر: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبه، (444/1).

4 السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، مصدر سابق، (445/1).

وأنتم مني أحاب من حاربتكم وأسالم من سالمتم" ... قال ابن هشام: ويُقال الهَدَمُ الهَدَمُ: أي ذمتي ذمتكم، وحرمتي حرمتكم¹.

إن هذا الاعتراض يدل على الحرية العالية التي رفع الله تعالى المسلمين إليها بالإسلام، إذ عبر بن التيهان عما في نفسه بكامل حرите²، وكان جواب سيد الخلق ﷺ عظيماً، فقد جعل نفسه جزءاً من الأنصار والأنصار جزءاً منه³.

سادساً: يؤخذ من اختيار النقباء دروساً مهمة، منها:

1. إن الرسول ﷺ لم يعين النقباء، إنما ترك طريق اختيارهم إلى الذين بايعوا، فإنهم سيكونون عليهم مسؤولين وكفلاء، والأولى أن يختار الإنسان من يكفله ويقوم بأمره، وهذا أمر شوري ابتغى الرسول ﷺ من خلاله ترسيخ مبدأ الشورى في المجتمع الإسلامي بشكل عملي وتطبيقي. ومفاد هذا الدرس إن الإنسان لا يستطيع أن يتفاعل مع رئيسه إذا كان مفروضاً عليه بشكل فوقي، الأمر الذي يجب أخذه بعين الاعتبار في عصرنا الحاضر على جميع الأصعدة السياسية والإدارية والاجتماعية.
2. التمثيل النسبي في الاختيار، إذ من المعلوم أن الذين حضروا البيعة من الخزرج هم أكثر من الأوس بمقدار ثلاثة أضعاف أو يزيدون، ولذلك كان النقباء تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.
3. جعل رسول الله ﷺ النقباء مشرفين على سير الدعوة في يثرب، حيث استقام عود الإسلام هناك، وكثر متقفوه، وأراد النبي ﷺ أن يشعرهم أنهم لم يعودوا غرباء لكي يبعث إليهم أحداً من غيرهم، وأنهم بمقتضى هذه النتيجة غدوا أهل الإسلام وحماته وأنصاره⁴.

سابعاً: عرفنا في المبحث الثاني، كيف أن زعماء مكة تأكدوا من حقيقة الصفة التي تمت بين رسول الله ﷺ والأنصار، فخرجوا في طلب القوم فأدركوا سعد بن عباد وأحضروه معهم إلى مكة يضربونه، لكنه استطاع أن يخلص نفسه من قريش بواسطة جبير بن مطعم والحارث بن حرب لأنه كان يجير تجارتهم ببلده.

1 ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، مصدر سابق، (50/2). مسند الإمام أحمد بن حنبل، مصدر سابق، (462/3).
دلائل النبوة في معرفة أحوال صاحب الشريعة، مصدر سابق، (447/2). عيون الأثر في فنون المغازي
والشمائل والسير، مصدر سابق، (164/1).

2 للتوسع ينظر: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، عبد العزيز الحميدي، (97/3).

3 للتوسع ينظر: التربية القيادية، منير الغضبان، (67/2).

4 دراسات في السيرة النبوية، عماد الدين خليل، ص: 132.

يستفاد من هذه الواقعة أن سعد بن عبادة لم يجد في نفسه غضاضة من الاستعانة بأعراف الجاهلية لينفذ نفسه من أيدي المشركين، خاصة أنه يعلم بأن سيوف المسلمين لا يمكن أن تنفذه، لأن المسلمين أصلاً مطاردون في مكة، وعاجزون عن حماية أنفسهم¹.

ثامناً: في قول العباس بن عبادة بن نضلة للنبي ﷺ: والله الذي بعثك بالحق إن شئت لنميلنَّ على أهل منى غداً بأسيا فانا، وقول رسول الله ﷺ: "لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلى رحالكم" .. درس تربوي بليغ وهو أن الدفاع عن الإسلام، والتعامل مع أعداء هذا الدين ليس أمراً متروكاً لاجتهاد أتباعه، وإنما هو خضوع لأوامر الله تعالى وتشريعاته الحكيمة. فإذا شرَّع الجهاد فإن أمر الإقدام عليه أو الإحجام عنه متروك لنظر المجتهدين بعد التشاور ودراسة الموضوع من جميع جوانبه². وكلما كانت عبقرية التخطيط السياسي والعسكري أقوى وأحكم أدت إلى نجاح المهمات بشكل أكبر وأجود، وإخفاء المخططات عن العدو وتنفيذها بعيداً عن عيونه هو الكفيل بإذن الله بنجاحها .. وهنا تظهر عظمة جواب النبي ﷺ: "ولكن ارجعوا إلى رحالكم"، فالرسول القائد هنا تعامل مع الموضوع بفكر استراتيجي متميز ركز من خلاله على الهدف الرئيس البعيد المدى المتمثل بنشر الدين الإسلامي وإعلاء كلمة التوحيد، الأمر الذي لا يتحمل أية مواجهة عسكرية عاجلة مع المشركين قد تكون آثارها غير محمودة، ناهيك عن عدم وجود الأمر الرباني الذي يبيح مثل هذه المواجهة.

تاسعاً: يتضح لنا من بيعة العقبة الكبرى، أن المرأة يمكن أن تشارك الرجل في الكثير من المواقف الخطيرة والكبيرة في حياة الأمة الإسلامية .. سواء في مجال المشاركة السياسية، أو في ساحات القتال.

لقد ضمت البيعة امرأتين بايعتا بيعة الحرب، وصدقنا عهدهما، وهما أسماء ابنة عمرو من بني سلمة، وقيل هي والدة معاذ بن جبل، وقيل ابنة عمة معاذ بن جبل. أما المرأة الأخرى فهي نسيبة بنت كعب (أم عمارة) التي أصيبت يوم أحد اثنا عشر جرحاً، وكانت قد خرجت بصحبة زوجها زيد بن عاصم بن كعب ومعها سقاء تسقي به المسلمين، فلما رجحت كفة المشركين في المعركة انحازت إلى رسول الله ﷺ، فكانت تباشر القتال وتذب عنه بالسيف وقد أصيبت بجراح عميقة. وشهدت معركة اليمامة في حروب الردة مع خالد بن الوليد فقاتلت وقطعت يدها وجرحت اثنا عشر جرحاً³. أما ابنها فقد قطعه مسيلمة الكذاب إرباً إرباً فما وهنت وما استكانت⁴.

1 التربية القيادية، مصدر سابق، (116/2).

2 التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، مصدر سابق، (104/3).

3 المرأة في العهد النبوي، عصمة الدين كركر، ص: 108.

4 التحالف السياسي في الإسلام، محمد منير الغضبان، ص: 87.

عاشراً: عندما تراجع تراجم أصحاب العقبة الكبرى من الأنصار في كتب السير والتراجم نجد أن هؤلاء الثلاثة والسبعين قد استشهد قرابة ثلثهم على عهد النبي ﷺ وبعده، ونلاحظ أنه قد حضر المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ قرابة النصف، فثلاثة وثلاثون منهم كانوا بجوار الرسول ﷺ في جميع غزواته، وأما الذين حضروا غزوة بدر فكانوا قرابة السبعين. لقد صدق هؤلاء الأنصار عهدهم مع الله عز وجل ورسوله الكريم ﷺ، فمنهم من قضى نحبه ولقي ربه شهيداً، ومنهم من بقي حتى ساهم في قيادة الدولة المسلمة وشارك في أحداثها الجسام التي أعقبت انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وبمثل هذه النماذج قامت دولة الإسلام .. هذه النماذج التي تعطي ولا تأخذ، والتي تقدم كل شيء، ولا تطلب شيئاً دنيوياً ابتغاء مرضاة الله تعالى ونبيه ﷺ، وابتغاء الفوز بالنعيم المقيم في جنات عرضها السماوات والأرض. ويتصاغر التاريخ في جميع عصوره ودهوره أن يحوي في صفحاته أمثال هؤلاء الرجال¹.

1 للتوسع ينظر: التربية القيادية، مصدر سابق، (140/2).

المصادر والمراجع

1. التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، عبد العزيز الحميدي، ط1، الإسكندرية، دار الدعوة، 1418هـ-1997م.
2. التحالف السياسي في الإسلام، محمد منير الغضبان، ط2، (د.م)، دار السلام، 1408هـ-1988م.
3. التربية القيادية، منير الغضبان، ط1، المنصورة، دار الوفاء، 1418هـ-1998م.
4. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي، ط2، القاهرة، دار الرسالة للنشر، 1406هـ-1985م.
5. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1405هـ-1985م.
6. دراسات في السيرة النبوية، عماد الدين خليل، ط11، بيروت، دار النفائس، 1409هـ-1989م.
7. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، وثق أصوله وخرّج حديثه وعلّق عليه عبد المعطي قلنجي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1405هـ-1985م.
8. السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبة، ط3، دمشق، دار القلم، 1417هـ-1996م.
9. السيرة النبوية لابن هشام، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ط2، القاهرة، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1375هـ-1975م.
10. الطبقات الكبرى لابن سعد، بيروت، دار صادر، 1388هـ-1967م.
11. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ابن سيد الناس، (د.م)، دار الفكر، (د.ت).
12. الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، (د.م)، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).
13. لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، ط1، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، 1417هـ-1997م.
14. مختصر تفسير ابن كثير، الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني، ط4، بيروت، دار القرآن الكريم، 1401هـ-1980م.

15. مختصر سيرة الرسول، الشيخ عبد الله بن محمد المجدي آل الشيخ، مصر، المطبعة السلفية ومكتبتها الروضة، 1379هـ-1959م.
16. المرأة في العهد النبوي، عصمة الدين كركر، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1413هـ-1993م.
17. مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، المكتب الإسلامي، دار صادر، 1313هـ-1859م.
18. معجم البلدان، للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، بيروت، دار الكتاب العربي، (د.ت).
19. الهجرة النبوية المباركة، عبد الرحمن البر، ط1، المنصورة، دار الكلمة، 1418هـ-1997م.

نبذة مختصرة عن الباحث

الدكتور / رakan عبد العزيز عبد الله الراوي

باحث علمي في المؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم / دبي

منسق كلية الإدارة والقيادة في جامعة آل نوتاه العالمية / دبي

عضو الشبكة العربية للتعليم المفتوح والتعليم عن بعد / عمان

عضو المجلس الوطني لتنمية مهارات التفكير / المملكة العربية السعودية

(هاتف المنزل 009714-2636961) ، (موبايل 0097150-3595397)

e-mail: rakanalrawi@hotmail.com

مجال التخصص: العلوم الإدارية (إدارة الموارد البشرية).

الدرجات العلمية:

- ❖ حاصل على درجة الدكتوراه في الإدارة العامة من جامعة بغداد عام 2000م.
- ❖ حاصل على درجة الماجستير في الإدارة العامة من جامعة بغداد عام 1997م.
- ❖ حاصل على درجة البكالوريوس في الإدارة العامة من جامعة بغداد عام 1994م.

الخبرة الأكاديمية والعملية:

- ❖ التدريس في جامعة بغداد، كلية الإدارة والاقتصاد، قسم الإدارة العامة، للعام الدراسي (1999-2000).
- ❖ التدريس في كلية دبي للصيدلة (كلية للبنات)، مادة "مبادئ الإدارة والتسويق"، للأعوام الدراسية (2001-2002)، (2002-2003)، (2003-2004).

أهم الدراسات والأبحاث المنشورة:

- ❖ "منهج الشراء والبيع بين الله ﷻ وعباده المؤمنين ... دراسة تحليلية لبيعة العقبة الكبرى". بحث منشور في مجلة آفاق الثقافة والتراث، مجلة فصلية ثقافية تراثية، تصدر عن قسم الدراسات والنشر والعلاقات الثقافية بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، السنة (15)، العدد (59)، شوال 1428هـ - أكتوبر 2007م.
- ❖ "كيف يحيى الموظف مع اسم الله العزيز؟"، مقال منشور في الاقتصاد الإسلامي، مجلة شهرية اقتصادية متخصصة، يصدرها بنك دبي الإسلامي، الإمارات العربية المتحدة، العدد (317)، شعبان 1428هـ - سبتمبر 2007م.

- ❖ "الإدارة الشوريّة للرسول القائد ﷺ ... نماذج منتقاة". بحث منشور في المجلة الدولية للعلوم الإدارية، مجلة دولية لدراسات الإدارة العامة المقارنة، تصدر عن معهد التنمية الإدارية بدبي، والمعهد الدولي للعلوم الإدارية في بروكسيل، المجلد رقم (11)، العدد رقم (2)، الإصدار العربي، يونيو 2006.
- ❖ "غزوة بدر الكبرى بين المدد الربّاني والقيادة النبوية ... دراسة تحليلية". بحث منشور في الأحمديّة، مجلة علمية دورية محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية وإحياء التراث، تصدر عن دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي، العدد العشرون، جمادى الأولى 1426هـ - يونيو 2005م.
- ❖ "إدارة الجامعات الافتراضية: توجه تنظيمي معاصر". دراسة منشورة في آفاق، مجلة دورية تُعنى بالتعليم عن بعد تصدرها الشبكة العربية للتعليم المفتوح والتعليم عن بعد في عمّان، العدد التاسع عشر، تموز - يوليو 2003م.